الهجرة الأولى إلى الحبشة
ثم الثانية

قال يعقوب الفَسَوي في «تاريخه»[1]: حدثني العباس بن عبدالعظيم، قال: حدثني بشّار بن موسى الخفَّاف، قال: حدثنا الحَسَن ابن زياد البُرْجُميّ ـ إمام مسجد محمد بن واسع ـ، قال: حدثنا قَتَادة، قال: أوّل من هاجر إلى الله بأهله عثمان بن عفّان. قال: سمعتُ النَّضر ابن أنَس يقول: سمعت أبا حمزة يعني أنَسَ ابن مالك، يقول: خرج عثمان بِرُقيَّة بنتِ رسولِ الله ﷺ إلى الحبشة، فأبطأ خَبرُهُم، فقدِمَت امرأةٌ من قريش، فقالت: يا محمد قد رأيت خَتَنَكَ ومعه امرأته، فقال: «على أيِّ حالٍ رأيتهما»؟ قالت: رأيتُه حملَ امرأته على حمارٍ من هذه الدّبابة[2]، وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: صَحِبَهما اللهُ، إنَّ عثمان أول من هاجر بأهلِه بعد لُوط.

ورواه يحيى بن أبي طالب، عن بشّار.

عن عبدالله بن إدريس، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حدثني الزُّهري، عن أبي بكر بن عبدالرحمن، وعُروة، وعبدالله بن أبي بكر، وصلتُ الحديث عن أبي بكر، عن أم سَلَمة، قالت: لما أُمِرنا بالخروج إلى الحَبَشَة، قال رسول الله ﷺ حين رأى ما يصيبنا من البلاء: «إلحقوا بأرض الحَبَشَة فإنّ بها ملكاً لا يُظْلم عنده أحدٌ، فأقيموا ببلاده حتى

---

(١) كتاب المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٥.

(٢) على هامش الأصل: «أي: ضعاف تدبُّ ولا تسرع».

يجعل الله مخرجاً مما أنتم فيه». فقدِمنا عليه فاطمَأْنَنَّا في بلاده... الحديثَ.

قال البغوي في تاسع «المُخَلِّصِيّات»[1]: وروى ابن عَون، عن عُمَير ابن إسحاق، عن عَمرو بن العاص بعضَ هذا الحديث.

وقال البكّائي: قال ابن إسحاق[2]: فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما يصيب أصحابَهُ من البلاء، وما هو فيه من العافيةِ بمكانة من الله، ومن عمه، وأنه لا يقدر أن يمنعهم من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرضِ الحبشة، فإنّ بها ملِكاً لا يُظْلم عنده أحدٌ وهي أرضُ صِدقٍ، حتى يجعلَ الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». فخرج عند ذلك المسلمون مخافةَ الفتنة، وفراراً بدينهم إلى الله. فخرج عثمان بزوجته، وأبو حذيفة ولد عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بزوجته سَهلَة بنت سُهَيل بن عَمرو فولدت له بالحبشة محمداً، والزُّبيرُ بنُ العوَّام، ومُصعب بن عُمير العَبدَري، وعبدالرحمن بن عَوف، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد المخزومي، وزوجته أمّ سَلَمَة أمّ المؤمنين، وعثمان بن مظعون الجُمحِي، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة العَدَويَّة، وأبو سَبرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَّى العامريّ، وسُهَيل بن بيضاء، وهو سُهَيل بن وهب الحارثي، فكانوا أوّلَ من هاجر إلى الحبشة.

قال: ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون إلى الحَبَشَة. ثم سمَّى ابنُ إسحاق[3] جماعتهم، وقال: فكان جميع مَنْ لَحِق بأرض الحَبَشَة، أو وُلد بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، فعبدوا الله وحمدوا جِوار النَّجَاشي، فقال عبدالله بن الحارث بن قيس السَّهمِيّ:

---

(١) هي أجزاء لأبي الطاهر المخلص الذهبي، وهي من الأجزاء العالية الإسناد.
(٢) ابن هشام ١/ ٣٢١.
(٣) ابن هشام ١/ ٣٢٣.

يـا راكبـاً بَلِّغَـنْ عنّـي مغلغلـةً ... من كان يرجو بلاغَ الله والدين
كُلَّ امرىء من عباد الله مضطَّهَدٍ ... ببطـن مكـةَ مقهـورٍ ومفتـونِ
أنّـا وجـدنـا بـلادَ الله واسعـةً ... تُنجي من الذُّلِّ والمخزاة والهُونِ
فلا تُقيموا على ذُلّ الحياة وخزْ ... يٍ في الممات وعَيبٍ غير مأمونِ
إنّـا تَبِعنـا نبـيَّ الله، واطَّـرَحُـوا ... قولَ النبي وعالوا في الموازينِ
فاجْعَلْ عذابكَ في القوم الذين بَغَوا ... وعائذٌ بك أنْ يَعْلُوا فَيُطْغُوني

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أُمَيّة بن خَلَف ابن عمه، وكان يؤذيه:

أتيمَ بن عَوفٍ والذي جاء بِغْضَةً ... ومن دونه الشِّرْمانُ والبَرْكُ أكتعُ
أأخرجتني من بطنِ مكّة أيمناً[1] ... وأسْكَنتني في سرح بيضاءَ تقذعُ
تَـريـشُ نبـالاً لا يـواتيـك ريشُهـا ... وتبري نبـالاً ريشهـا لـك أجمعُ
وحـاربـتَ أقـوامـاً كِـرامـاً أعِـزَّةً ... وأهلكتَ أقواماً بهم كنت تُفْزَعُ
ستعلـمُ إنْ نـابتْـك يـومـاً مُلِمَّـةٌ ... وأسْلَمَكَ الأرياشُ[2] ما كنت تصنع

وقال موسى بن عُقبة: ثم إنّ قريشاً ائتمروا واشتدَّ مَكرهم، وهمُّوا بقتل رسول الله ﷺ أو إخراجه، فعرضوا على قومه أن يُعطُوهم دِيَتَه ويقتلوه، فأبوا حَمِيَّةً. ولما دخل رسول الله ﷺ شِعبَ بني عبد المطلب، أمر أصحابه بالخروج إلى الحَبَشَة فخرجوا مرَّتين؛ رجع الذين خرجوا في المرة الأولى حين أُنزلت سورة «النَّجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان محمد يذكر آلهتنا بخيرٍ قَرّرناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر مَنْ حالفه من اليهود والنّصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم، والشَّر. وكان رسول الله ﷺ يتمنّى هُدَاهم، فأُنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]، فألقى الشيطان عندها كلمات «وإنَّهنَّ

(١) في سيرة ابن هشام: آمناً.
(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي السيرة: الأوباش. وهو جمع راش، أي: ضعيف، شُبّه بالريش ضعفاً، فما ذكره المؤلف هو الصواب، وإن كان الكل بمعنى.

الغَرانيق العُلا، وإنَّ شفاعتهُنَّ تُرْتَجَى[1] » فوقعت في قلب كلّ مشركٍ بمكة، وذلَّت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إنّ محمداً قد رجع إلى ديننا. فلمَّا بلغ آخرَ النَّجم سجد ﷺ وسجد كل مَن حَضَر من مسلمٍ أو مُشركٍ، غير أنّ الوليد بن المُغيرة كان شيخاً كبيراً رفع مِلء كفَّيه تراباً فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السّجود، بسجود رسول الله ﷺ، عجب المسلمون بسجود المشركين معهم، ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان، وأمّا المشركون فاطمأنُّوا إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، لما أُلقي في أُمنيةِ رسول الله ﷺ؛ وحدثهم الشيطان أنّ رسول الله ﷺ قد قرأها في السَّجدة، فسجدوا تعظيماً لآلهتهم. وفَشَت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشَّيطان، حتى بلغت أرضَ الحبشة ومَن بها من المسلمين؛ عثمان بن مظعون وأصحابه، وحُدِّثُوا أنَّ أهلَ مكة قد أسلموا كلّهم وصلُّوا، وأنّ المسلمين قد أمِنُوا بمكة، فأقبلوا سراعاً، وقد نسخ الله ما ألقى الشيطانُ، وأُنزلت ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج] الآيات. فلما بيَّن الله قضاءه وبرَّأه من سَجع الشيطان انقلب المشركون

---

(١) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته تعليقاً على هذا الخبر نصه: «هذه اللفظة ينكرها أهل النظر، وهي منكرة، ولكنها في مغازي الحافظ موسى بن عقبة، وفي السيرة رواية ابن إسحاق، وفي مصنف البيهقي، وغير ذلك، وكان الحافظ المنذري يرد ذلك، وكان شيخنا الدمياطي يخالفه. ورواها أبو الفتح اليَعمري في السيرة له، فقال: الذي عندي في هذا الخبر أنه جار مجرى ما يذكر من المغازي والسير. وذهب كثير من أهل العلم إلى الترخُّص في رواية الرقاق، وما لاحكم فيه من أخبار المغازي إلى أن قال: وهذا الخبر ينبغي رَدُّه إلا أن يثبت بسند قوي، فنرجع إلى تأويله. وقال فيه السهيلي: مَنْ صحح هذا قال: إن الشيطان قال ذلك وأشاعه في الأسماع وما نطق به الرسول. وقيل: بل قاله الرسول عليه السلام حاكياً عن الكفرة، وأنهم يقولون ذلك، فقالها متعجباً من كفرهم. والله أعلم.

بضلالتهم وعداوتهم. وكان عثمان بن مظعون وأصحابه، فيمن رجع، فلم يستطيعوا أن يدخلوا مكة إلاّ بجوار، فأجار الوليدُ بن المغيرة عثمانَ ابن مَظعون، فلما رأى عثمان ما يَلْقَى أصحابهُ من البلاء، وعُذِّب طائفةٌ منهم بالسِّياط والنار، وعثمان مُعافى لا يعرض له، استحبَّ البلاءَ، فقال للوليد: يا عمُّ قد أجَرتني، وأحبّ أنْ تخرجني إلى عشيرتك فتبرأ مني. فقال: يا ابن أخي لعلّ أحداً آذاك أو شتمك؟ قال: لا والله ما اعترض لي أحدٌ ولا آذاني. فلمّا أبى إلاّ أنْ يتبرأ منه أخرجه إلى المسجد، وقريشٌ فيه، كأحفلِ ما كانوا، ولَبيد بن ربيعة الشاعر يُنشِدهم، فأخذ الوليد بيد عثمان وقال: إنّ هذا قد حملني على أن أتبرّأ من جواره، وإنّي أُشهدكم أنّي بريءٌ منه، إلاّ أن يشاء. فقال عثمان: صدق، أنا والله أكرَهتُهُ على ذلك، وهو مني بريء. ثم جلس مع القوم فنالوا منه.

قال موسى: وخرج جعفر بن أبي طالب [وأصحابُه][1] فراراً بدينهم إلى الحبشة، فبعثت قريش عَمرو بن العاص، وعمارةَ بن الوليد ابن المغيرة، وأمروهما أنّ يسرعا ففعلا، وأهدوا للنَّجاشِيِّ فَرَساً وجُبَّةَ دِيباج، وأهدوا لعُظماء الحبشة هدايا، فقبل النَّجاشِيُّ هديَّتَهم، وأجلس عَمراً على سريره، فقال: إنّ بأرضك رجالاً منّا سُفَهاء ليسوا على دينك ولا ديننا، فادفعهم إلينا. فقال: حتى أكلّمهم وأعلم على أيّ شيءٍ هُم. فقال عَمرو: هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا، وإنّهم لا يشهدون أنّ عيسى ابن الله، ولا يسجدون لك إذا دخلوا. فأرسل النَّجاشِيُّ إلى جعفر وأصحابِه، فلم يسجدْ له جعفر ولا أصحابُه وحيّوه بالسّلام، فقال عَمرو: ألم نُخبرك خبر القوم. فقال النَّجاشِيّ: حدثوني أيُّها الرَّهطُ، ما لكم لا تُحَيُّوني كما يُحيّيني مَن أتاني من قومكم، وأخبِرُوني ما تقولون في عيسى وما دِينكم؟ أنَصَارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفَيَهُود أنتم؟

(١) إضافة لابد منها لا يستقيم المعنى من غيرها.

قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله وَحدَه ولا نُشرك به شيئاً. قال: مَن جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل منّا قد عرفنا وجهه ونَسَبَه، بعثه الله كما بعث الرسل إلى مَن كان قبلنا، فأمرنا بالبِرِّ والصَّدقة والوفاء والأمانة، ونهانا أنْ نعبدَ الأوثانَ، وأمرنا أنْ نعبدَ الله، فَصدَّقناه، وعرفنا كلام الله، فعادانا قومُنا وعادَوه وكذَّبوه، وأرادونا على عبادة الأصنام، فَفَرَرنا إليك بدِيننا ودمائنا من قومنا. فقال النّجَاشِيُّ: والله إنْ خرج هذا الأمر إلاّ من المِشكاة التي خرج منها أمرُ عيسى. قال: وأمّا التحيّة فإن رسولنا أخبرنا أنّ تحيّة أهلِ الجنّة السلام، فَحيَّيناك بها، وأمّا عيسى فهو عبدُ الله ورسولُه وكلِمتُه ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه وابن العذراء البَتُول. فخفض النّجاشيُّ يدَه إلى الأرض، وأخذ عُوداً فقال: والله ما زاد ابنُ مريم على هذا وزنَ هذا العود. فقال عظماء الحَبَشَة: والله لئن سمعت هذا الحبشةُ لَتَخلَعَنَّكَ. فقال: والله لا أقولُ في عيسى غيرَ هذا أبداً، وما أطاع اللهُ الناسَ فيَّ حين ردّ إليَّ مُلكي، فأنا أطيع الناسَ في دين الله! مَعاذَ الله من ذلك. وكان أبو النَّجاشي مَلِكَ الحبشة، فمات والنجاشي صبيّ، فأوصى إلى أخيه أنَّ إليك مُلك قومِكَ حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله المُلك. فرغب أخوه في المُلك، فباع النجاشيَّ لتاجرٍ، وبادر بإخراجه إلى السفينة، فأخذ الله عمه قَعْصَاً[1] فمات، فجاءت الحبشة بالتاج، وأخذوا النجاشي فملَّكوه، وزعموا أنّ التاجر قال: ما لي بدٌّ من غلامي أو مالي. قال النجاشي: صَدَق، ادفعوا إليه ماله. قال: فقال النّجاشيّ حين كلّمه جعفر: رُدُّوا إلى هذا هديَّتَه - يعني عَمراً - والله لو رشوني على هذا دَبرَ ذَهَبٍ - والدَّبر بلغته الجبل - ما قبِلتُهُ، وقال لجعفر وأصحابه: امكثُوا آمنين، وأمر لهم بما يصلحهم من

(١) قعصاً: أي: قتلاً سريعاً.

الرِّزق. وألقى الله العداوةَ بين عَمرو وعمارة بن الوليد في مسيرهما، فمكر به عَمرو وقال: إنّك رجل جميل، فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدَّث عندها إذا خرج زوجُها، فإنّ ذلك عونٌ لنا في حاجتنا. فراسلها عمارةُ حتى دخل عليها، فلمّا دخل عليها انطلق عَمرو إلى النّجاشيّ، فقال: إنّ صاحبي هذا صاحب نساء، وإنّه يريد أهلك فاعلم عِلمَ ذلك. فبعث النّجاشي، فإذا عمارة عند امرأته، فأمر به فنُفِخَ في إحليله شَحْوةً[1] ثم أُلقي في جزيرةٍ من البحر، فَجُنَّ، وصار مع الوحش، ورجع عَمرو خائب السَّعي.

وقال البكائي: قال ابن إسحاق[2]: حدثني الزُّهري، عن أبي بكر ابن عبدالرحمن، عن أمّ سَلَمَة، قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشة، جاورنا بها خيرَ جارٍ النّجاشيَّ، أمِنَّا على ديننا، وعَبَدنا الله تعالى، لا نُؤذَى، ولا نسمع ما نكره، فلما بلغ ذلك قريشاً ٱئتمروا أن يبعثوا إلى النَّجاشي رجلَين جَلدين، وأنْ يُهدوا للنّجاشي، فبعثوا بالهدايا مع عبدالله بن أبي ربيعة، وعَمرو بن العاص. وذكر القصّة بطولها، وستأتي إنْ شاء الله، رواها جماعة، عن ابن إسحاق.

وذكر الواقدي أنّ الهجرة الثانية كانت سنة خمسٍ من المَبعَث.

وقال حُدَيج بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبدالله بن عُتبة، عن ابن مسعود، قال: بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن ثمانون رجلاً، ومَعَنَا جعفر، وعثمان بن مظعون، وبعثت قريشُ عمارَة، وعَمرو ابن العاص، وبعثوا معهما بهدّيةٍ إلى النجاشي، فلما دخلا عليه سجدا

---

(١) جَوّد المؤلف تقييد هذا اللفظ بخطه تقييداً متقناً، وشحا فاه: فَتَحَهُ، لعله يريد: نُفِخَ في إحليله فَتْحاً. على أن الرواية المشهورة أن النجاشي أمر ساحراً فنفخ في إحليله من سحره، عقوبة له (وانظر فتح الباري ١/ ٤٦٣).

(٢) ابن هشام ١/ ٣٣٤.

له، وبعثا إليه بالهدّية، وقالا: إنّ ناساً من قومنا رغِبوا عن دِيننا، وقد نزلوا أرضَك. فبعث إليهم، فقال لنا جعفر: أنا خطيبُكُمُ اليومَ. قال: فاتَّبعوه حتى دخلوا على النجاشي، فلم يسجدوا له، فقال: وما لكم لم تسجدوا للملك؟ فقال: إنّ الله قد بعث إلينا نبيَّه، فأمرنا أن لا نسجد إلاّ لله. فقال النجاشي: وما ذاك؟ قال عَمرو: إنّهم يخالفونك في عيسى. قال: فما تقولون في عيسى وأمّه؟ قال: نقول كما قال الله، هو روح الله وكلمتُه ألقاها إلى العذراء البَتُول، التي لم يمسَّها بَشَرٌ، ولم يَفْرِضهَا ولد. فتناول النجاشي عوداً، فقال: يا معشر القِسِّيسين والرُّهبان، ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزنُ هذا، فمرحباً بكم وبِمَنْ جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه نبيٌّ، ولَوَدِدتُ أنّي عنده فأحمل نَعلَيه ـ أو قال أخدمه ـ فانزلوا حيث شئتم من أرضي. فجاء ابن مسعود فشهِد بدراً. رواه أبو داود الطَّيالسيّ في «مُسنده»[1] عن حُدَيج.

وقال عُبَيد الله بن موسى: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي بُردَة، عن أبيه، قال: أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أن ننطلِقَ مع جعفر إلى الحبشة. وساق كحديث حُدَيج.

ويظهر لي أنّ إسرائيل وَهِمَ فيه، ودخل عليه حديث في حديث، وإلاّ أين كان أبو موسى الأشعريّ ذلك الوقت.

رجعنا إلى تمام الحديث الذي سُقناه عن أمّ سَلَمَة قالت: فلم يَبقَ بِطرِيقٌ من بطارقة النّجاشيِّ إلاّ دفعا إليه هديّةً، قبل أنْ يُكَلِّما النّجاشيَّ، وأخبرا ذلك البطريق بقصدهما، ليُشِير على الملك بدفع المسلمين إليهم، ثم قرّبا هدايا النّجاشيّ فقبِلها، ثم كلّماه فقالا: أيُّها المِلك إنّه قدم إلى بلادك منّا غِلمانٌ سُفَهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في

---

(١) مجمع الزوائد ٦/ ٢٤. وهو عند أحمد ١/ ٤٦١.

دينك، جاءوا بدِينٍ ابتدعوه، لا نعرفه نحن، ولا أنت، فقد بَعَثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من أقاربهم لتردَّهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم. قالت: ولم يكن أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعَمرو بن العاص من أنْ يسمع كلامهم النّجاشيّ، فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك، قومُهم أعلى بهم عَيناً، وأعلم بما عابوا عليهم من دِينهم، فأسلِمهُم إليهما. فغضب ثم قال: لاها الله إذن لا أُسلِّمُهُم إليهما، ولا يُكَادُ قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَن سِوايَ، حتى أدعوَهم فأسألهم عمّا تقولان. فأرسل إلى الصّحابة فدعاهم، فلّما جاؤوا وقد دعا النّجاشيُّ أساقفتَه فنشروا مصاحفهم، سألهم فقال: ما دينكم؟ فكان الذي كلَّمه جعفر، فقال: أيُّها الملك، كنّا قوماً أهلَ جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل المَيتَةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحام، ونُسِيء الجِوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نَسَبَه، وصِدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة، وأَمَرَنا بالصِّدق والأمانة وصلة الرَّحِم ـ وعدَّد عليه أمور الإسلام ـ فصدَّقناه واتَّبَعناه، فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا، وفتنونا عن ديننا، وضيّقوا علينا، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على مَنْ سِواكَ، ورجَونا أن لا نُظلم عندك أيُّها الملك. قالت: فقال: وهل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم، وقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم] فبكى والله النّجاشيُّ، حتى أخضَلَ لحيتَهُ، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال النّجاشيُّ: إنّ هذا، والذي جاء به موسى لَيَخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلِقا، فلا والله لا أُسلمهم إليكما ولا يُكاد. قالت: فلمّا خرجا من عنده قال عَمرو: والله لآتينَّهم غداً بما أستأصُل به خَضراءهم. فقال له ابن أبي ربيعة، وكان

أتقى الرجُلَين فينا: لا تفعل، فإنّ لهم أرحاماً. قال: والله لأخبرنَّه أنّهم يزعمُون أنّ عيسى عبد. ثم غدا عليه، فقال له ذلك، فَطَلَبَنا، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول، والله، ما قال اللهُ، كائناً في ذلك ما كانَ، فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول: هو عبدالله ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول. فأخذ النّجاشيّ عوداً ثم قال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العود. فتناخرت بطارقتُه حوله، فقال: وإنْ نَخَرتُم، والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسّيوم: الآمنون - مَنْ سبَّكم غَرِم، ما أحبّ أن لي دَبراً[1] من ذَهَب، وأنّي آذيتُ رجلاً منكم، رُدُّوا هداياهما فلا حاجة لي فيها، فَوَالله ما أخذ الله منّي الرّشوةَ حين ردّ عليَّ مُلكي، فآخذ الرشوةَ فيه، وما أطاعَ النّاسَ فيَّ فأُطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحَين مردوداً عليهما ما جاءا به. قالت: فإنّا على ذلك، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلكه، فَوَالله ما علِمنا حُزناً حَزِنَّا قَطُّ كان أشدّ علينا من حُزنٍ حزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجلُ على النّجاشيِّ، فيأتي رجلٌ لا يعرفُ من حقّنا ما كان النّجاشيُّ يعرف منه. فسار إليه النّجاشي، وكان بينهما عرض النّيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَن رجلٌ يخرج حتى يحضر الوقعةَ، ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزُّبَير: أنا، فنفخوا له قربةً، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النّيل التي بها يلتقي القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، ودعونا الله تعالى للنّجاشيّ، فإنّا لَعَلَى ذلك، إذ طلع الزُّبَير يسعى فلمع بثوبه، وهو يقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظهر النّجاشيّ، وقد أهلك الله عدوَّه، ومكَّن له في بلاده.

---

(١) أي: جبلاً.

قال الزُّهري[1] : فحدَّثتُ عُروة بن الزُّبير هذا الحديثَ فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرّشوَةَ إلى آخره؟ قلت: لا. قال: فإنّ عائشة أمَّ المؤمنين حدثتني أنّ أباه كان مَلِك قومه، ولم يكن له ولدٌ إلاّ النّجاشيّ، وكان للنّجاشي عمٌّ من صُلبه اثنا عشر رجلاً، فقالت الحبشة: لو أنّا قتلنا هذا وملّكنا أخاه، فإنّه لا ولد غير[2] هذا الغلام، ولأخيه اثنا عشر ولداً، فتوارثوا مُلكَه من بعده بقيت الحبشةُ بعده دهراً، فَعَدَوا على أبي النّجاشي فقتلوه، وملّكوا أخاه. فمكثوا حيناً، ونشأ النجاشي مع عمّه، فكان لبيباً حازماً فغلب على أمر عمّه، ونزل منه بكلِّ منزلة، فلما رأت الحبشةُ مكانه منه قالت بينها: والله لقد غَلَبَ هذا على عمّه، وإنّا لَنَتَخَوَّفُ أن يُمَلِّكه علينا، وإنْ مَلَكَ لَيَقتُلنا بأبيه، فكلّموا الملك، فقال: ويلكم، قتلتُ أباهُ بالأمس، وأقتُله اليوم!، بل أُخرِجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به فباعوه لتاجرٍ بست مئة دِرهم، فقذفه في سفينة وانطلق به، حتى إذا كان آخر النّهار، هاجت سحابةٌ، فخرج عمّه يستمطر تحتَها، فأصابته صاعقةٌ فقتلته، ففزعت الحبشةُ إلى ولده، فإذا هو مُحْمَقٌ ليس في ولده خير، فَمَرجَ الأمرُ، فقالوا: تعلموا، والله إنّ مَلِكَكم الذي لا يُقيم أمرَكم غيره لَلَّذِي بِعْتُمُوه غدوةً. فخرجوا في طلبه فأدركوه، وأخذوه من التّاجر، ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التّاجَ، وأقعدوه على سرير مُلكه، فجاء التّاجر فقال: مالي. قالوا: لا نعطيك شيئاً، فكلَّمَهُ، فأمرهم فقال: أعطوه دراهمه أو عبده. قالوا: بل نُعطيه دراهمه، فكان ذلك أوّل ما خُبر من عدله، رضي الله عنه.

وروى يزيد بن رومان، عن عُروة، قال: إنّما كان يكلّم النّجاشيَّ عثمانُ بن عفّان رضي الله عنه.

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٣٩.

(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي السيرة: «لا ولد له غير».

أخبرنا إبراهيم بن حَمْد، وجماعة، قالوا: أخبرنا ابن مُلاعب، قال: حدثنا الأرمَوِيّ، قال: أخبرنا جابر بن ياسين، قال: أخبرنا المخلِّص، قال: حدثنا البَغَوِيّ، قال: حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان، قال: حدثنا أسد بن عَمرو البَجَلي، عن مجالد، عن الشَّعبيّ، عن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، قال: بعثت قريش عَمراً وعُمارة بهديّة إلى النّجاشي ليُؤْذُوا المهاجرين، وذكر الحديث، فقال النّجاشيّ: أعَبيدٌ هم لكم؟ قالوا: لا. قال: فلكم عليهم دَيْنٌ؟ قالوا: لا. قال: فخلُّوهم. فقال عمرو: إنهم يقولون في عيسى غير ما تقول. فأرسَلَ إلينا، وكانت الدعوة الثانية أشدّ علينا، فقال: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ قال: يقول: هو روح الله وكلمتُه ألقاها إلى عذراء بتول. فقال: ادعوا لي فُلاناً القسّ، وفلاناً الرَّاهب، فأتاه أُناسٌ منهم، فقال: ما تقولون في عيسى؟ قالوا: أنت أعلَمُنا. قال: وأخذ شيئاً من الأرض، فقال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثلَ هذا. ثم قال: أَيُؤْذِيكم أحد؟ قالوا: نعم. فنادى: مَن آذى أحداً منهم فأَغرِموه أربعةَ دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا. فأضعَفَها، قال: فلمّا ظهر النبيُّ ﷺ وهاجر أخبرناه، قال فزوَّدَنا وحملنا، ثم قال: أخبِر صاحبَك بما صنعتُ إليكم، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّه رسول الله، وقُلْ له يستغفر لي. فأتينا المدينةَ، فتلقّاني النبي ﷺ فاعتنقني وقال: «ما أدري أنا بقدوم جعفر أفرح أم بفتح خَيبر»، وقال: «اللَّهُمَّ اغفِر للنّجاشيّ» ثلاث مرّات، وقال المسلمون: آمين[1].

(١) كتب العلامة صلاح الدين الصفدي بخطه المليح على حاشية نسخة المؤلف إعلاماً نصه: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد الثالث على مؤلفه، فسح الله في مدته».

إسلامُ ضِماد

داود بن أبي هند، عن عَمرو بن سعيد، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: قدِم ضِمادٌ مكةَ، وهو من أَزدِ شَنُوءَةَ، وكان يَرقِي من هذه الرياح، فسمع سُفهاءَ من سُفهاء الناس يقولون: إنّ محمداً مجنون، فقال: آتي هذا الرجلَ لعلَّ الله أنْ يشفيه على يديّ. قال: فلقيتُ محمداً فقلت: إنّي أرقي من هذه الرياح، وإنّ الله يشفي على يدي مَن يشاء، فَهَلُمَّ. فقال محمد: إنّ الحمد لله نَحمدُه ونستعينه، من يَهْدِه الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له (ثلاث مرات)، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أمّا بعد. فقال: واللهِ لقد سمعتُ قولَ الكَهَنَة، وقولَ السَّحرَة، وقول الشعراء، فما سمعت مثلَ هؤلاء الكلمات ولقد بَلَغنَ قاموس البحر[1]، فَهَلُمّ يدَك أبايعك على الإسلام. فبايعه رسول الله ﷺ وقال له: «وعلى قومك». فقال: وعلى قومي. فبعث رسول الله ﷺ سريّةً، فمرُّوا بقوم ضِماد، فقال صاحب الجيش للسَّرِيَّة: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مِطهَرَةً. فقال: رُدُّوها عليهم فإنّهم قوم ضِماد. أخرجه مسلم[2].

---

(١) كتب المصنف بخطه: «في م: ناعوس» يريد أنها كذلك عند مسلم. وقد قال النووي في شرحه: «ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما: ناعوس، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا، والثاني: قاموس، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم... قال أبو عبيد: قاموس البحر: وسطه. وقال ابن دريد: لجته. وقال صاحب كتاب العين: قعره الأقصى.

(٢) مسلم ٣/ ١١.

إسلامُ الجِنِّ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف] الآيات، وقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام] وأنزل فيهم سورة الجنّ.

وقال أبو بِشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السّماء، وأُرسِلَت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسِلَت علينا الشُّهُب، قالوا: ما حالَ بينكم وبين خبرِ السماء إلّا شيءٌ حدث، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربَها. قال: فانصرف أولئك النَّفر الذين توجَّهُوا نحو تهامة إلى رسول الله وهو بنَخلَة[1]، عامداً إلى سوق عُكاظ، وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآنَ استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنا به ولن نُشرِك بربِّنا أحداً، فأُنزلت ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴿١﴾﴾ [الجن]. متَّفَقٌ عليه[2].

ويُحمل قول ابن عباس: إنّ النبي ﷺ ما قرأ على الجنّ ولا رآهم،

---

(١) مكان قرب مكة المكرمة.

(٢) البخاري ١/ ١٩٥ و ٦/ ١٩٩، ومسلم ٢/ ٣٥.

يعني أول ما سمعتِ الجنُّ القرآنَ، ثم إنّ داعي الجنّ أتى النبيَّ ﷺ ـ كما في خبر ابن مسعود، وابن مسعود قد حفظ القصَّتَين، فقال سفيان الثَّورِيّ عن عاصم عن زِرّ، عن عبدالله قال: هبطوا على رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلمّا سمعوه أنصتوا، قالوا: صَه، وكانوا سبعة أحدهم زَوبَعَة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف] الآيات.

وقال مِسعَر، عن معن، قال: حدثنا أبي، قال: سألت مسروقاً: مَن آذن النّبيّ ﷺ ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك، يعني ابن مسعود: أنّه آذَنَتْهُ بهم شجرة. مُتفقٌ عليه[1].

وقال داود بن أبي هند، عن الشَّعبيّ، عن عَلقَمَة، قال: قلت لابن مسعود: هل صحِبَ رسولَ الله ﷺ ليلةَ الجنّ منكم أحدٌ؟ فقال: ما صحِبَه منا أحدٌ، ولكنّا فقدناه ذات ليلةٍ بمكة، فقلنا اغتِيل، استُطِير، ما فعل، فبتنا بِشرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ، فلمّا كان في وجه الصّبح ـ أو قال في السَّحَر ـ إذا نحن به يجيء من قِبلَ حِراء، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه، فقال: «إنّه أتاني داعي الجن فأتيتُهم فقرأتُ عليهم»، فانطلق فأرانا آثارَهم وآثارَ نِيرانهم. رواه مسلم[2].

وقد جاء ما يخالف هذا، فقال عبدالله بن صالح: حدثني اللَّيثُ، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو عثمان بن سَنَّة الخُزَاعي من أهل الشام، أنّه سمع ابنَ مسعود يقول: إنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه، وهو بمكة «مَن أحبّ منكم أن يحضر اللَّيلةَ أمرَ الجنّ فليفعل». فلم يحضر منهم أحدٌ غيري حتى إذا كنّا بأعلى مكة خَطَّ لي برِجله خطاً، ثمّ أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآنَ

(١) البخاري ٥/ ٥٨، ومسلم ٢/ ٣٥.
(٢) مسلم ٢/ ٣٦.

فغشِيَتْهُ أسْودة كثيرة، حالت بيني وبينه، حتى سمعت ما أسمعُ صوتَه، ثم انطلقوا وطَفِقُوا يتقطَّعون مثلَ قِطَع السَّحاب، ذاهبين، حتّى ما بقي منهم رَهطٌ، وفرغ رسولُ الله ﷺ مع الفجر، فانطلق فتَبرَّزَ، ثم أتاني فقال: «ما فعل الرَّهطُ»؟ فقلت: هم أولئك يا رسول الله، فأخذ عَظماً ورَوثاً فأعطاهم إيّاه زاداً، ثم نهى أن يَستَطيبَ أحدٌ بعَظمٍ أو بَروثٍ. أخرجه النَّسائي[1] من حديث يونس.

وقال سليمان التَّيميّ، عن أبي عثمان النَّهدِي، أنّ ابن مسعود أبصر زُطّاً[2] في بعض الطريق فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء الزُّطّ، قال: ما رأيت شِبْهَهم إلاّ الجِنَّ ليلة الجنِّ، وكانوا مستثفرين يتبع بعضُهم بعضاً. صحيح.

يقال: استثفر الرجل بثوبه، إذا أخذ ذيله من بين فخِذَيه إلى حجزته فغرزه. وكذا يقال في الكلب، إذا جعل ذنبه بين فخِذَيه، ومنه قوله للحائض: استثفري.

وقال عثمان بن عمرو بن فارس، عن مستمر بن الرّيان، عن أبي الجَوزاء، عن ابن مسعود، قال: انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجنّ، حتى أتى الحَجُونَ فخطّ عليَّ خطّاً، ثم تقدّم إليهم، فازدحموا عليه، فقال سيّد لهم يقال له وَرْدان: إنّي أنا أرحِّلُهُم عنك، فقال: إنّي لَنْ يُجيرني من اللهِ أحدٌ.

وقال زُهير بن محمد التميميّ، عن ابن المُنكَدِر، عن جابر، قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة «الرحمن»، ثم قال: «ما لي أراكم سُكُوتاً، لَلْجنُّ كانوا أحسن رداً منكم، ما قرأتُ عليهم هذه الآية من مرّة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن]، إلاّ قالوا: ولا بشيءٍ من نِعَمِك ربّنا

(١) المجتبى ١/ ٣٧، وفي الكبرى (٣٨).
(٢) جنس من السودان والهنود. (النهاية).

نُكَذِّبُ، فلكَ الحمدُ». زُهير ضعيف[1].

وقال عَمرو بن يحيى بن سعيد بن عَمرو بن العاص، عن جدّه سعيد، قال: كان أبو هريرة يتبع رسول الله ﷺ بأداوةٍ لوضوئه. فذكر الحديث، وفيه: «أتاني جِنُّ نَصِيبين فسألوني الزَّادَ، فدعوتُ الله لهم أنْ لا يمرّوا بِرَوثَةٍ ولا بعَظمٍ إلاّ وجدوا طعاماً». أخرجه البخاري[2]. ويدخل هذا الباب في باب شجاعته ﷺ وقوّة قلبه.

ومنه حديث محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: إنَّ عفريتاً من الجنّ تفلَّتَ عليَّ البارحةَ ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني اللهُ منه، فأخذتُه وأردتُ أنْ أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلُّكم، فذكرتُ دعوةَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ ﴿٣٥﴾﴾ [ص]، فردَدْتُه خاسئاً. وفي لفظ: فأخذته فَذَغَتُّهُ[3]، يعني خنقته، مُتفقٌ عليه[4].

---

(١) التاريخ الصغير ٢٠٣، والكامل لابن عدي ٣/ ١٠٧٣.
(٢) البخاري ٥/ ٥٩.
(٣) وتروى أيضاً بالدال المهملة، ومعناه: دفعته دفعاً شديداً.
(٤) البخاري ١/ ١٢٤ و ٢/ ٨١ و ٤/ ١٥١ و ٦/ ١٥٦، ومسلم ٢/ ٧٢.

فصل
فيما وَرَدَ من هَواتفِ الجان وأقوالِ الكُهَّان

قال ابن وَهْب: أخبرنا عمر بن محمد، قال: حدثني سالم بن عبدالله، عن أبيه، قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيءٍ قطّ إنّي لأظُنُّهُ كذا، إلاّ كان كما يظن، فبينا عمر جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ فقال: لقد أخطأ ظنّي، أو إنّ هذا على دِينه في الجاهليّة، أو لقد كان كاهِنَهُم، عليَّ الرجلَ، فدُعِيَ له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظنّي أو أنك على دِينك في الجاهلية، أو لقد كنت كاهنهم. فقال: ما رأيت كاليوم اسْتُقبِل به رجلٌ مسلم، قال فإنّي أعزِمُ عليك إلاّ ما أخبرتني. فقال: كنت كاهِنَهُم في الجاهلية. فقال: فما أعجبُ ما جاءتك به جِنِّيتك؟ قال: بينا أنا جالسٌ جاءتني أعرف فيها الفزع قالت:

ألـم تـر الجـنَّ وإبـلاسَهـا ... ويـأسهـا بَعْـدُ وإبلاسَهَـا[1]
ولحوقها بالقلاص وأحْلاسها ... وإيـاسهـا مـن أنسـاكهـا

قال عمر: صَدَق، بينا أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجلٌ بعِجْلٍ فذبحه، فصرخ منه صارخٌ لم أسمع صارخاً قَطُّ أشدّ صوتاً منه يقول: يا جَليحُ، أمرٌ نَجِيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلاّ الله. فوثب القوم، قلت: لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَليح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلاّ الله. قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء

(١) وعجز البيت في رواية البخاري: «وياسها من بعد إنكاسها».

هذا، فأعاد قوله، قال: فقمتُ فما نَشِبت أن قيل هذا نبيٌّ. أخرجه البخاري عن رجل عنه هكذا[1]. وظاهره أنّ عمر بنفسه سمع الصّارخَ من العِجل، وسائرُ الروايات تدلّ على أنّ الكاهن هو الذي سمع.

فروى يحيى بن أيّوب، عن ابن الهاد، عن عبدالله بن سليمان، عن محمد بن عبدالله بن عَمرو، عن نافع، عن ابن عمر، قال: بينما رجل مارّ، فقال عمر: قد كنت مرَّةً ذا فراسة، وليس لي رِئْيٌ، ألم يكن قد كان هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة، ٱدْعُوه لي، فدعوه، فقال عمر: من أين قدِمتَ؟ قال: من الشام. قال: فأين تريد؟ قال: أردتُ هذا البيتَ، ولم أكن أخرج حتى آتيك. قال: هل كنتَ تنظرُ في الكَهانة؟ قال: نعم. قال: فحدثني. قال: إنّي ذات ليلةٍ بوادٍ، إذ سمعت صائحاً يقول: يا جَليح، خبرٌ نَجِيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلاّ الله، الجنّ وإياسها، والإنس وإبلاسها، والخيل وأحلاسها، فقلت: مَن هذا؟ إنّ هذا لَخَبرٌ يئست منه الجنّ، وأبلست منه الإنس، وأُعملت فيه الخيل، فما حال الحَوْلُ حتى بُعِثَ رسول الله ﷺ.

ورواه الوليد بن مَزْيَد العُذرِيّ، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن ابن مسكين الأنصاريّ، قال: بينا عمر جالس. وهذا منقطع. ورواه حَجَّاج بن أرطاة، عن مجاهد. ويروَى عن ابن كثير أحد القرّاء، عن مجاهد موقوفاً.

ويُشبه أن يكون هذا الكاهن هو سَواد بن قارب المذكور في حديث أحمد بن موسى الحَمَّار الكوفي، قال[2]: حدثنا زياد بن يزيد القَصْري، قال: حدثنا محمد بن تراس الكوفي، قال: حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: بينا عمر يخطب إذ قال:

---

(١) البخاري ٥/ ٦١.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٤٩-٢٥١.

أفيكم سوادُ بن قارب؟ فلم يُجِبْهُ أحدٌ تلك السنة، فلما كانت السنةُ المقبلةُ قال: أفِيكم سَواد بن قارب؟ قالوا: وما سَواد بن قارب؟ قال: كان بدْء إسلامه شيئاً عَجَباً، فبينا نحن كذلك، إذ طلع سواد بن قارب، فقال له: حدِّثنا ببدء إسلامك يا سواد، قال: كنت نازلاً بالهند، وكان لي رَئيٌ من الجنّ، فبينا أنا ذات ليلةٍ نائم إذ جاءني في منامي ذلك، قال: قمْ فافْهم واعْقِلْ إنْ كنت تعقل، قد بُعث رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجنّ وأنجاسها ... وشدّها العِيسَ بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصَّفوة من هاشمٍ ... وٱسْمُ بعينيك إلى راسها

يا سواد، إنّ الله قد بعث نبيّاً فانهضْ إليه تَهْتَدِ وترشد، فلمّا كان من اللّيلة الثانية أتاني فأنبهني، ثم قال:

عجِبْتُ للجنّ وتطلابها ... وشدّها العيسَ بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ليس قُدَامَاها كأذنابها
فانهضْ إلى الصَّفْوة من هاشمٍ ... واسمُ بعينيك إلى نابها[1]

فلمّا كانت الليلة الثالثة أتاني فأنبهني، ثم قال:

عجِبتُ للجنّ وتَخْبارها ... وشدّها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ليس ذَوُو الشّرّ كأخيارها
فانهضْ إلى الصَّفْوة من هاشمٍ ... ما مؤمنو الجنّ ككُفّارها

فوقع في قلبي حبُّ الإسلام، وشددت رَحْلي، حتى أتيتُ النّبيَّ ﷺ، فإذا هو بالمدينة، والناس عليه كعرف الفَرَس، فلمّا رآني قال: «مرحباً بسَواد بن قارب، قد علِمنا ما جاء بك» قلت: يا رسول الله قد

(١) كتب المصنف في حاشية نسخته: أي: سيدها.

قلتُ شعراً فاسمعه منّي:

أتاني رَئْيي بعد ليلٍ وهجْعة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذِب
ثلاثَ ليالٍ قوله كلَّ ليلةٍ ... أتاك نبيّ من لُؤَيّ بن غالبِ
فشمّرتُ عن ساقي الإزارَ ووسَّطَت ... بي الذِّعْلِبُ الوجناء عند السباسبِ[1]
فأشهد أنَّ الله لا شيء غيره ... وأنك مأمونٌ على كلّ غائبِ
وأنّك أدنى المرسَلين شفاعةً ... إلى الله يا ابن الأكرَمين الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيك يا خيرَ مَنْ مشى ... وإنْ كان فيما جاء شَيْب الذَّوائبِ
فكُنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... سواك بِمُغْنٍ عن سَواد بن قاربِ

فضحك رسولُ الله ﷺ، وقال لي: «أفلحتَ يا سَواد» فقال له عمر: هل يأتيك رئيُك الآن؟ قال: منذ قرأت القرآن لم يأتني، ونِعمَ العِوَض كتابُ الله من الجنّ.

هذا حديث مُنكَر بالمرّة، ومحمد بن تراس وزياد مجهولان لا تُقبل روايتهما، وأخاف أن يكون موضوعاً على أبي بكر بن عيّاش، ولكنَّ أصلَ الحديث مشهور.

وقد قال أبو يَعلَى الموصليّ، وعليّ بن شَيبان: حدثنا يحيى بن حُجْر الشّاميّ، قال: حدثنا عليّ بن منصور الأبناوي، قال: حدثنا أبو عبدالرحمن الوقاصيُّ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: بينما عمر جالس إذ مرَّ به رجل، فقال قائل: أتعرِف هذا؟ قال: ومَنْ هو؟ قال: سَواد بن قارب، فأرسل إليه عمر فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت الذي أتاه رَئيُّهُ بظهور النّبيّ ﷺ؟ قال: نعم. قال: فأنتَ على كَهانتكَ. فغضب وقال: ما استقبلني بهذا أحدٌ منذ أسلمتُ. قال عمر: سبحان الله ما كنّا عليه من الشِّرك أعظم، قال: فأخبِرني بإتيانك

---

(١) الذعلب: الناقة السريعة، والوجناء: الشديدة، والسباسب: المفازة.

رَئيّكَ بظهور رسول الله ﷺ. قال: بينا أنا ذات ليلةٍ بين النّائم واليَقْظان، إذ أتاني فضربني برِجله، وقال: قُمْ يا سَواد بن قارب اسمع مقالتي واعقِلْ، إنْ كنت تعقِل، إنّه قد بُعث رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب يدعو إلى عبادة الله، ثم ذكر الشعر قريباً مما تقدّم، ثم أنشأ عمر يقول: كنّا يوماً في حيٍّ من قريشٍ يقال لهم آل ذَرِيح، وقد ذبحوا عجْلاً، والجزّار يعالجه إذ سمعنا صوتاً من جوف العِجل ولا نرى شيئاً هو يقول: يا آل ذَريح، أمر نَجِيح، صائح يصيح، بلسانٍ فصيح، يشهد أن لا إله إلاّ الله.

أبو عبدالرحمن اسمه عثمان بن عبدالرحمن، مُتَّفقٌ على تركه، وعلي بن منصور فيه جَهالة، مع أنّ الحديث منقطِع.

وقد رواه الحسن بن سفيان، ومحمد بن عبدالوهاب الفرَّاء، عن بِشر بن حُجْر أخي يحيى بن حُجْر، عن عليّ بن منصور، عن عثمان بن عبدالرحمن، بنَحوه.

وقال ابن عديّ في «كامله»[1]: حدثنا الوليد بن حمّاد، بالرملة، قال: حدثنا سليمان بن عبدالرحمن، قال: حدثنا الحَكَم بن يَعلَى المُحارِبيّ، قال: حدثنا أبو مَعمَر عبّاد بن عبدالصَّمد، قال: سمعت سعيد بن جُبَير، يقول: أخبرني سَواد بن قارب قال: كنت نائماً على جبل من جبال الشَّرَاة، فأتاني آتٍ فضربني برِجله وقال: قم يا سَواد أتى رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب، فذكر الحديث.

كذا فيه سعيد يقول: أخبرني سواد، وعبّاد ليس بثقة يأتي بالطَّامَّات.

وقال مَعمَر، عن الزُّهري، عن عليّ بن الحسين، قال: أوّل ما سُمع بالمدينة أنّ امرأةً من أهل يثرب تُدعَى فَطِيمة، كان لها تابعٌ من الجِنّ،

---

(١) الكامل ٢/٦٢٨.

فجاء يوماً فوقع على جدارها، فقالت: ما لك لا تدخل؟ فقال: إنّه قد بُعث نبيّ يُحَرِّمُ الزِّنَى. فحدَّثتْ بذاك المرأةُ عن تابعها من الجنّ، فكان أول خبرٍ تُحُدِّثَ به بالمدينة.

وقال يحيى بن يوسف الزَّمِّي: حدثنا عُبَيدالله بن عَمرو، عن عبدالله ابن محمد بن عَقِيل، عن جابر، قال: أول خبر قدِم عن النبي ﷺ بالمدينة أنّ امرأةً كان لها تابع، فجاء في صورة طائرٍ حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة: انزِل، قال: لا، إنّه قد بُعث بمكة نبيٌّ يحرِّم الزِّنى، قد منع منّا القرار.

وفي الباب عدّة أحاديث عامّتها واهية الأسانيد.

انشقاق القمر

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۝٣﴾ [القمر]. قال شَيبان، عن قَتَادة، عن أنس: إنّ أهل مكة سألوا نبيَّ الله ﷺ أنْ يُرِيَهُمْ آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر مرَّتَين. أخرجاه[1] من حديث شَيبان، لكن لم يقل البخاري مرَّتَين.

وقال مَعمَر، عن قَتَادة، عن أنس مثلَه، وزاد «فانشقّ فِرْقَتَين مرَّتين». وللبخاري نحوٌ منه، عن ابن أبي عَرُوبة، عن قَتادة[2]. وأخرجاه[3] من حديث شُعبة، عن قَتَادة.

وقال ابن عُيَيْنَة وغيره: عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن أبي مَعمَر، عن ابن مسعود، قال: رأيت القمر منشقّاً شقتين بمكة، قبل مخرج النّبيّ ﷺ شقّة على أبي قُبَيْسْ، وشِقّة على السُّوَيْداء، فقالوا: سحر القمر.

لفظ عبدالرزاق، عن ابن عُيَينة، وأراد (قبل مخرج النبي ﷺ) يعني إلى المدينة.

أخرجاه[4] من حديث ابن عُيَينَة، ولفظهُ: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا.

---

(١) البخاري ٤/ ٢٥١ و ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢.
(٢) البخاري ٤/ ٢٥١.
(٣) البخاري ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢.
(٤) البخاري ٤/ و٦ ٢٥١/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢.

وأخرجاه[1] عن عمر بن حفص، عن أبيه، عن الأعمش، قال: حدثنا إبراهيم، عن أبي مَعمَر، عن عبدالله، قال: انفلقَ القمرُ، ونحن مع رسول الله ﷺ، فصارت فلقةٌ من وراء الجبل، وفلقةٌ دونه، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا. وأخرجاه[2] من حديث شُعبة، عن الأعمش.

وقال أبو داود الطَّيَالِسي في «مُسنده»: حدثنا أبو عُوانَة، عن مُغيرة، عن أبي الضُّحى، عن مسروق، عن عبدالله، قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السُّفَّار، فإنّ محمداً لا يستطيع أن يسْحَرَ الناسَ كلَّهم، فجاء السُّفَّارُ فقالوا: ذلك صحيح.

وقال هُشَيم، عن مغيرة، نحوَه.

وقال بكر بن مُضَر، عن جعفر بن ربيعة، عن عِراك بن مالك، عن عُبَيدالله بن عبدالله بن عُتبة، عن ابن عباس أنّه قال: إنَّ القمرَ انشقَّ على زمان رسول الله ﷺ. مُتَّفقٌ عليه من حديث بكر[3].

وقال شُعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، في قوله ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر] قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشقّ فلقَتين، فِلْقةً من دون الجبل، وفِلْقةً من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اشهد». أخرجه مسلم[4].

وقال إبراهيم بن طهمان، وهُشَيم، عن حُصين، عن جُبَير بن محمد ابن جُبير بن مُطعِم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: انشقَّ القمرُ، ونحن بمكة على عهد رسول الله ﷺ. وكذا رواه أبو كُدَينة، والمفضّل بن يونس،

---

(١) البخاري ٥/ ٦٢، ومسلم ٨/ ١٣٢.
(٢) البخاري ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٢ و١٣٣.
(٣) البخاري ٤/ ٢٥١ و ٥/ ٦٢ و ٦/ ١٧٨، ومسلم ٨/ ١٣٣.
(٤) مسلم ٨/ ١٣٢.

عن حُصَين. ورواه محمد بن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حُصَين، عن محمد بن جُبَير، عن أبيه. والأول أصحّ.

obeikandl.com

باب: ويسألونك عنِ الرُّوح

قال يحيى بن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، قالوا: نحن لم نُؤْتَ من العلم إلاّ قليلاً؟ وقد أُوتينا التَّوراة فيها حكم الله، ومن أوتي التَّوراة فقد أُوتي خيراً كثيراً. قال: فنزلت: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف] الآية. وهذا إسنادٌ صحيح[1].

وقال يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس أنّ مُشرِكي قريش، بعثوا النَّضرَ بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، وقالوا لهم: سَلُوهم عن محمد، وصفوا لهم صفَتَه، وأخبروهم بقوله، فإنّهم أهلُ الكتاب الأوّل، وعندهم علمُ ما ليس عندنا. فقدِما المدينةَ، فسألوا أحبارَ اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره ببعض قوله، فقالت لهم أحبار اليهود: سَلُوه عن ثلاثٍ نأمركم بهنّ، فإنْ أخبركم بهنّ فهو نبيٌّ مُرسَلٌ. سَلُوه عن فِتيةٍ ذهبوا في الدَّهْر الأول، ما كان من أمرهم، فإنّه كان لهم حديثٌ عجب. وسَلُوه عن رجلٍ طوَّافٍ بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها وما كان نَبَؤُه. وسَلُوه عن الرُّوح ما هو. فقدِما مكةَ، فقالا: يا

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٥، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في الكبرى، كما في التحفة (٦٠٨٣).

معشر قريشٍ قد جئناكم بفصلِ ما بينكم وبين محمد، قد أَمَرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أُمورٍ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، وسألوه، فقال: «أُخبركم غداً»، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث خمس عشرة ليلة لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحياً، ولم يأته جبريل، حتى أَرْجَفَ أهلُ مكة، وقالوا: وَعَدَنَا غداً واليوم خمس عشر. وأحزن رسولَ الله ﷺ مكثُ الوحي، ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إيّاه على حُزنه، وخبر الفتية والرجل الطّوّاف، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

وأمّا حديث ابن مسعود[1]، فيدلّ على أنّ سؤال اليهود عن الرُّوح كان بالمدينة. ولعلّه ﷺ سُئل مرّتين.

وقال جرير بن عبدالحميد، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسولَ الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهباً، وأن يُنَحّيَ عنهم الجبال فيزرعوا فيها. فقال الله: إنْ شئتَ آتيناهم ما سألوا، فإنْ كفروا أُهلكوا كما أُهلِك مَنْ كان قبلهم، وإنْ شئتَ أن أستأني بهم. لعلّنا نستحيي منهم، وأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء]. حديثٌ صحيح[2]. ورواه سَلَمَة بن كُهيل، عن عمران، عن ابن عباس، وروي عن أيّوب، عن سعيد بن جُبير.

---

(١) حديث ابن مسعود في الصحيحين: البخاري ١/ ٤٣ و٦/ ١٠٨ و٩/ ١١٩ و١٦٧، ومسلم ٨/ ١٢٨ و١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٨، والنسائي في الكبرى، كما في التحفة (٥٤٦٧).

ذِكْر أذيَّةِ المشركينَ للنبيِّ ﷺ وللمسلمينَ

الأوزاعيُّ، عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني محمد بن إبراهيم التَّيمي، قال: حدثني عُروة، قال: سألت عبدَالله بنَ عَمرو قلت: حدِّثني بأشدّ شيءٍ صنعه المشركون برسول الله ﷺ. قال: أقبل عُقبة بن أبي مُعَيط والنبي ﷺ يصلّي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عُنُقِه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمَنْكِبِه، فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر]. أخرجه البخاري[1].

ورواه ابن إسحاق، عن يحيى بن عُروة، عن أبيه، عن عبدالله.

ورواه سليمان بن بلال، وعَبْدة[2]، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عَمرو بن العاص. وهذه علّة ظاهرة، لكن رواه محمد بن فُلَيح، عن هشام، عن أبيه، عن عبدالله بن عَمرو، فهذا ترجيحٌ للأول.

وقال سُفيان، وشُعبة، واللَّفظ له، قال: حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت عَمرو بن ميمون يحدث عن عبدالله، قال: بينما رسول الله ﷺ ساجدٌ وحوله ناسٌ من قريش، وثَمّ سَلَى بعيرٍ، فقالوا: من يأخذ سَلَى هذا الجَزُور فيقذفه على ظهره. فجاء عُقبة بن أبي مُعَيط فقذفه على ظهره ﷺ، وجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على مَن صنع

---

(١) البخاري ٥/٥٨.

(٢) هو عبدة بن سليمان، وقد كتب المصنف في حاشية نسخته «خ: عبيدة» أي أنه في نسخة أخرى. قلت: ولا نعرف في الرواة عن هشام بن عروة من اسمه عبيدة.

ذلك، قال عبدالله: فما رأيت رسولَ الله ﷺ دعا عليهم إلاّ يومئذٍ فقال: «اللَّهُمَّ عليك الملأ من قريش، اللَّهُمّ عليك أبا جهل بن هشام، وعُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وعُقبة بن أبي مُعَيط، وأُميّة بن خَلَف» ـ أو أُبَيّ ابن خَلَف، شكّ شُعبة، ولم يشكّ سُفيان أنّه أُميّة ـ قال عبدالله: فقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر وأُلْقُوا في القَلِيب[1]، غير أنّ أُميّة كان رجلاً بادناً، فتقطّع قبل أن يُبْلَغ به البئر. أخرجاه[2] من حديث شُعبة، ومن حديث سُفيان.

وقال مسلم[3]: حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان، قال: أخبرنا عبدالرحيم بن سليمان، عن زكريّا، عن أبي إسحاق، عن عَمرو بن ميمون، عن عبدالله، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلّي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جُلوس، وقد نُحرت جَزُور بالأمس، فقال أبو جهل: أيُّكُم يقوم إلى سَلَى جَزُور فيضعه على كتفيَ محمدٍ إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم[4]، فأخذه فوضعه بين كتفيه، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي مَنَعَة طرحتُه، والنبي ﷺ ما يرفع رأسه، فجاءت فاطمة، وهي جُوَيْرية فطرحته عنه وسَبَّتهم، فلما قضى صلاتَه رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «اللَّهُمَّ عليك بقريش» ثلاثاً، فلمّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضِّحْكُ وخافوا دعوته، ثم قال: «اللّهُم عليك بأبي جهل، وعُتبة ابن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، والوليد بن عُقبة، وأُميَّة بن خَلَف، وعُقبة

---

(١) هكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه مع أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب، وإنما قُتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر مرحلة (وانظر فتح الباري ١/ ٤٦٣).

(٢) البخاري ٥/ ٥٧، ومسلم ٥/ ١٧٩.

(٣) مسلم ٥/ ١٧٩.

(٤) هو: عقبة بن أبي معيط.

ابن أبي مُعَيط» وذكر السابع ولم أحفظه. فَوَالذي بعث محمداً بالحقّ، لقد رأيتُ الذين سمَّى صَرعَى يوم بدرٍ، ثم سُحِبوا إلى القَلِيب، قَلِيب بدر.

وقال زائدة، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدالله، قال: إنَّ أوَّلَ مَنْ أظهر إسلامَهُ سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأمّه سُمَيّة، وصُهَيب، وبلال، والمِقداد. فأمّا رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه أبي طالب. وأمّا أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأمّا سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وأوقفوهم في الشمس، فما من أحدٍ إلاّ وقد واتاهم على ما أرادوا غير بلال، فإنّه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الوِلدانَ فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ أحد. حديث صحيح.

وقال هشام الدَّستوائيّ، عن أبي الزُّبَير، عن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بعمار وأهله، وهم يُعذَّبون، فقال: «أبشِروا آل عمار[1] فإنّ موعدكم الجنّة».

وقال الثَّوريّ، عن منصور، عن مجاهد، قال: كان أوّل شهيدٍ في الإسلام أمّ عمّار سُمَيّة، طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلِها[2].

وقال يونس بن بُكَير، عن هشام بن عُروة، عن أبيه أنّ أبا بكرٍ أعتق ممّن كان يُعذَّب في الله سبعة، فذكر منهم الزِّنِّيرَة، قال: فذهب بصرها، وكانت ممّن يُعذَّب في الله على الإسلام، فتأبى إلاّ الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصَرَها إلاّ اللاّتُ والعُزَّى، فقالت: كلاّ والله، ما هو كذلك. فردّ الله عليها بصرها[3].

---

(١) كتب المصنف بخطه في هامش النسخة أنه في نسخة: آل ياسر.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٤-٢٦٥.
(٣) وانظر ابن هشام ١/ ٣١٨.

وقال إسماعيل بن أبي خالد وغيره: حدثنا قيس، قال: سمعت خبَّاباً يقول: أتيت رسولَ الله ﷺ وهو متوسِّد بُرده في ظلّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّةً شديدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله؟ فقعد وهو مُحمَرٌّ وجهُهُ فقال: «إنْ كان مَن كان قبلكم لَيُمْشَطُ أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحمٍ أو عَصَبٍ ما يصرفه ذلك عن دِينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقّ باثنين، ما يصرفه ذلك عن دِينه، ولَيَتُمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حَضرَمَوت لا يخاف إلاّ الله عز وجل» مُتفق عليه[1]، وزاد البخاري من حديث بيان ابن بِشر: «والذِّئبَ على غنمه».

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[2]، قال: حدثني حُكَيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبير: قلتُ لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرون به في تَرْكِ دِينهم؟ قال: نعم والله، إنْ كانوا ليضربون أحدَهم، يُجيعُونه ويُعَطِّشُونه، حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدّة الضّرِّ الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولون له: آللاّتُ والعُزَّى إلهُكَ من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إنّ الجُعَلَ لَيَمُرُّ بهم فيقولون له: أهذا الجُعَل إلهُكَ من دون الله، فيقول: نعم، افتداءً منهم ممّا يبلغون من جَهْدِه.

وحدَّثني الزُّبَير بن عُكَّاشة، أنّه حُدِّث، أنّ رجالاً من بني مخزوم مَشَوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلموا، منهم سَلَمَة بن هشام،

---

(١) هكذا قال إنه متفق عليه، ولم يخرجه مسلم، بل أخرجه البخاري ٤/ ٢٤٤و ٥/ ٥٦و٩/ ٢٥، والنسائي ٨/ ٢٠٨، وأبو داود (٢٦٤٩)، وهو عند الحميدي (١٥٧)، وأحمد ٥/ ١٠٩ و ١١٠ و١١١ و٦/ ٣٩٥، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ١١٧حديث (٣٥١٩)، والمسند الجامع ٣٢٠٥ حديث (٣٦٠٦).

(٢) ابن هشام ١/ ٣٢٠.

وعيّاش بن أبي ربيعة، قال: فقالوا له وخَشُوا شرَّه: إنّا قد أردنا أن تعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدِّين الذي قد أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك في غيره. قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، يعني أخاه الوليد، ثم إيّاكم ونفسَهُ، وقال:

ألا لا تقتُلُـنَّ أخـي عُيَيْـشٍ فيبقـى بيننـا أبـداً تـلاحـي

احذروا على نفسه، فأُقْسِم بالله لئن قتلتموه لأقتلنّ أشرفكم رجلاً، قال: فتركوه، فكان ذلك مما دفع الله به عنه.

وقال عَمرو بن دينار، فيما رواه عنه ابن عُيَيْنَة: لما قدِم عَمرو بن العاص من الحبشة جلس في بيته فقالوا: ما شأنه، ما له لا يخرج؟ فقال: إنّ أصْحَمة يزعمُ أنَّ صاحبكم نبيّ.

ويروى عن ابن إسحاق، من طريق محمد بن حُمَيد الرّازي، أنّ النبي ﷺ كتب إلى النّجاشي يدعوه إلى الإسلام، وذلك مع عَمرو بن أُميَّة الضَّمْرِيّ، وأنّ النجاشي كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة بن أبجر، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنّك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابنَ عمّك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك أريحا ابني، فإنّي لا أملك إلاّ نفسي، وإن شئت، أن آتيكَ فعلتُ، يا رسول الله.

قال يونس، عن ابن إسحاق: كان اسم النَّجاشي مَصْحَمَة، وهو بالعربية عطّية، وإنّما النجاشي اسم المَلِك، كقولك كِسرَى وهِرَقل.

وفي حديث جابر، أنّ النبي ﷺ صلّى على أصحمة النجاشي، وأمّا قوله: «مَصْحَمَة» فلفظٌ غريب.

ذكْر شِعْب أبي طالب والصَّحيفة

قال موسى بن عُقبة، عن الزُّهري، قال: ثم إنّهم اشتدُّوا على المسلمين كأشدّ ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهدُ، واشتدَّ عليهم البلاءُ، وأجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ علانيةً. فلمّا رأى أبو طالب عَمَلهم جمع بني أبيه وأمرهم أن يُدْخِلُوا رسولَ الله ﷺ شِعبَهم ويمنعوه ممّن أرادَ قتلَه، فاجتمعوا على ذلك مُسلمُهُم وكافرُهُم، فمنهم من فعله حَمِيَّةً، ومنهم من فعله إيماناً، فلمّا عرفت قريش أنَّ القومَ قد منعوه أجمعوا أمرهم أنْ لا يُجالسوهم ولا يبايعوهم، حتى يُسْلِموا رسولَ الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مَكْرهم صحيفةً وعهوداً ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صُلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفةٌ حتى يُسْلِمُوه للقتل[1].

فلبِث بنو هاشم في شِعبهم، يعني ثلاث سنين، واشتدّ عليهم البلاءُ، وقطعوا عنهم الأسواق، وكان أبو طالب إذا نام النّاس أمر رسولَ الله ﷺ فاضطّجع على فراشه، حتى يرى ذلك مَنْ أراد مكراً به واغتياله، فإذا نام الناس أمر أحدَ بنيه أو إخوَته فاضطّجع على فراش رسول الله ﷺ. ويأتي رسولُ الله ﷺ فراشَ ذلك فينام عليه. فلما كان رأس ثلاث سنين، تَلاَوَمَ رجالٌ من بني عبد مَناف، ومن بني قُصَيّ، ورجال أمَّهاتهم

---

(١) كتب المؤلف على هامش الأصل: «الحافظ أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري: حدثنا المدائني، عن أبي زيد الأنصاري، عن أبي عمرو بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حُصرنا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فما يبتاع شيئاً حتى مات منا قوم».

من نساء بني هاشم، ورأوا أنّهم قد قطعوا الرَّحِمَ واستخفُّوا بالحقّ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدرِ والبراءة منه.

وبعث الله على صحيفتهم الأرَضَة، فَلَحَست كلَّ ما كان فيها من عهدٍ وميثاق، ويقال: كانت معلَّقةً في سقف البيت، فلم تترك اسماً لله إلاّ لحسته، وبقي ما كان فيها من شِرك أو ظُلم، فأطلع الله رسولَه على ذلك، فأخبر به أبا طالب، فقال أبو طالب: لا والثَّواقبِ ما كَذَبَني. فانطلق يمشي بعصابةٍ من بني عبدالمطلب، حتى أتى المسجدَ وهو حافلٌ من قريش، فأنكروا ذلك، فقال أبو طالب: قد حَدَثَت أمورٌ بينكم لم نذكرها لكم، فائتوا بصحيفتكم التي تَعَاهَدتم عليها، فلعلَّه أنْ يكون بيننا وبينكم صُلح. فأتوا بها وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمرٍ يجمع قومكم، فإنّما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد، جعلتموه خطراً للهَلَكَة. قال أبو طالب: إنّما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نَصَفٌ، إنّ ابن أخي قد أخبرني ولم يَكذِبني، أنّ الله بريءٌ من هذه الصحيفة، ومحا كلَّ اسمٍ هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم، فإنْ كان كما قال، فأفيقوا، فَوَالله لا نُسلِمُه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً، دفعناه إليكم، فرضوا وفتحوا الصّحيفة، فلما رأتْها قريش كالذي قال أبو طالب، قالوا: والله إنْ كان هذا قطّ إلاّ سِحراً من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا لكُفرهم، فقال بنو عبدالمطلب: إنّ أولى بالكذِب والسِّحر غيرنا، فكيف ترون، وإنّا نعلم أنّ الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الجِبتِ والسِّحر من أمرنا، ولولا أنّكم اجتمعتم على السِّحر لم تفسد الصّحيفة، وهي في أيديكم، أَفَنَحنُ السَّحَرةُ أم أنتم؟ فقال أبو البَختَرِيّ، ومُطعِم بن عَدِي، وزُهَير بن أبي أُميَّة بن المغيرة، وزَمعة بن الأسود، وهشام بن عَمرو ـ وكانت الصّحيفة عنده،

وهو من بني عامر بن لُؤَيّ ـ في رجالٍ من أشرافهم: نحن بُرآء ممّا في هذه الصّحيفة. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضِي بِلَيل.

وذكر نحو هذه القصّة ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُروَة.

وذكر ابن إسحاق[1] نحواً من هذا، وقال: حدثني حسين بن عبدالله أنّ أبا لهب ـ يعني حين فارق قومه من الشِّعْب ـ لقي هنداً بنت عُتبة بن ربيعة، فقال لها: هل نَصَرتِ اللاّتَ والعُزَّى وفارَقتِ مَن فارقها؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً أبا عتبة.

وأقام بنو هاشم سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً مستخفيً به. وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لَقِيَ حكيمَ بن حزام برَّ خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً، يريد به عمته خديجة رضي الله عنها، وهي في الشعب فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم، والله لا تبرح أنتَ وطعامك حتى أفضحكَ بمكة. فجاءه أبو البَختَريّ بن هشام، فقال: ما لَكَ وله! قال: يحمل الطعام إلى بني هاشم! قال: طعام كان لعمّته عنده أفَتَمنعه أن يأتيها بطعامها، خَلِّ سبيلَ الرّجل. فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه، فأخذ له أبو البَختَرِيّ لَحيَ بَعِيرٍ، فضربه فشجّه ووطِئه وطئاً شديداً، وحمزة يرى ذلك، يكرهون أنْ يبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابه، فيشمتوا بهم، قال: ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً، سرّاً وجَهراً.

وقال موسى بن عُقبة: فلمّا أفسد الله الصحيفة، خرج رسول الله ﷺ ورهطه، فعاشوا وخالطوا الناس[2].

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٥١.

(٢) كتب صلاح الدين الصفدي بلاغاً على هامش نسخة المؤلف يفيد قراءته عليه نصه: «بلغت قراءة خليل بن أيبك في الميعاد الرابع على مؤلفه».

باب
إنّا كفيناكَ المُستهزِئينَ

قال الثَّوري، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس في قول الله عَزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر] قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزُّهري، وأبو زَمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبدالعُزَّى، والحارث بن عَيْطَل السَّهميّ، والعاص بن وائل، فأتاه جبريلُ فشكاهم النبيُّ ﷺ إليه، فأراه الوليدَ، وأومأ جبريل إلى أبجله[1] فقال: ما صنعتَ؟ قال: كُفِيتَه. ثم أراه الأسود، فأومأ جبريل إلى عينيه، فقال: ما صنعت؟ قال: كُفِيتَه. ثم أراه أبا زَمْعَة، فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت؟ قال: كُفِيته. ثم أراه الحارث، فأومأ إلى رأسه أو بطنه، وقال: كُفِيته. ومَرَّ به العاص فأومأ إلى أخمصه، وقال: كُفِيته. فأمّا الوليد، فمرّ برجلٍ من خُزاعة، وهو يريش نَبلاً له فأصاب أبْجَلَهُ فقطعها، وأمّا الأسود فعميَ، وأمّا ابن عبد يَغُوث فخرج في رأسه قُرُوحٌ فمات منها، وأمّا الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه، حتى خرج خُرؤه من فِيهِ فماتَ منها، وأمّا العاص فدخل في رأسه شِبْرقة[2]، حتى امتلأت فمات منها، وقال

---

(١) الأبجل: عرق في باطن الذراع، وقيل: هو عرق غليظ في الرِّجلِ فيما بين العصب والعظم.

(٢) نبتٌ حجازي له شوك.

غيره: إنّه ركب إلى الطّائف حماراً فربظ به على شوكة، فدخلت في أخمصه فمات منها. حديث صحيح[1].

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٣١٦.

obeikandl.com

دُعاءُ رسول الله ﷺ على قريش بالسَّنَة

قال الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال: بينما رجل يُحَدِّثُ في المسجد، إذ قال فيما يقول: يوم تأتي السّماءُ بدُخَانٍ مبين، قال: دخانٌ يكونُ يوم القيامة فيأخذ بأسماعِ المنافقينَ وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزُّكمَة، فقمنا فدخلنا على عبدالله بن مسعود فأخبرناه، فقال: أيُّها الناس مَنْ علم منكم عِلماً فليقُل به، ومَنْ لم يعلمْ فليقُل: الله أعلم، فإنَّ من العلم أنْ يقول العالمُ لِمَا لايعلم اللهُ أعلمُ، قال الله لرسوله: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [صَ]. وسأحدثكم عن الدُّخان: إنّ قريشاً لمّا استعصت على رسول الله ﷺ وأبطَؤُوا عن الإسلام قال: «اللَّهُمَّ أعِنّي عليهم بسبعٍ كَسَبع يوسف»، فأصابتهم سَنَةٌ فحصَّت كلَّ شيءٍ حتى أكلوا الجِيَفَ والمَيتَةَ، حتى إنّ أحدهم كان يرى ما بينه وبين السّماء كهيئة الدُّخان من الجوع، ثم دَعَوا فكشف عنهم، يعني قولهم: ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الدخان]. ثم قرأ عبدالله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الدخان] قال: فعادوا فكفروا فأُخِّرُوا إلى يوم بدر ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان]. قال عبدالله: يوم بدر فانتقم منهم. مُتفق عليه[1].

وقال عليّ بن ثابت الدّهّان ـ وقد تُوُفِّي سنة تسع عشرة ومئتين: أخبرنا أسباط بن نصر، عن منصور، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، عن

---

(١) البخاري ٢/٣٣ و ٣٧ و ٦/٩٦ و ١٣٩ و ١٥٦ و ١٦٥ و ١٦٦، ومسلم ٨/ ١٣٠ و١٣١.

عبدالله، قال: لما رأى رسولُ الله ﷺ من الناس إدباراً قال: «اللَّهُمَّ سبعٌ كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام، فجاءه أبو سُفيان وغيره، فقال: إنَّكَ تزعم أنّك بُعِثتَ رحمةً، وإنّ قومك قد هلكوا، فادعُ الله لهم، فدعا فسُقُوا الغيث.

قال ابن مسعود: مضت آية الدُّخَان، وهو الجوع الذي أصابهم، وآية الرُّوم، والبطشةُ الكبرى، وانشقاق القمر.

وأخرجا من حديث الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال عبدالله: خمسٌ قد مَضَين: اللّزام[1]، والروم، والدخان، والقمر، والبطشَة[2].

وقال أيّوب وغيره، عن عِكرِمة، عن ابن عباس، قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع، لأنهم لم يجدوا شيئاً، حتى أكلوا العِلهز[3] بالدم، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون].

---

(١) المراد به قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان]، أي: يكون عذابهم لازماً.

(٢) البخاري ٦/ ١٦٤ و ١٦٦، ومسلم ٨/ ١٣١.

(٣) كتب المؤلف في حاشية نسخته: «هو الوبر». أي: يخلطون الدم بأوبار الإبل ويشوونه ويأكلونه في سني المجاعة.

ذكْرُ الرُّوم

وقال أبو إسحاق الفزاريُّ، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عَمرة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كان المسلمون يحبُّونَ أنْ تظهرَ الرُّوم على فارس، لأنّهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبّون أن تظهر فارس على الروم، لأنّهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر، فذكره للنبي ﷺ، فقال: «أما إنّهم سيظهرون»، فذكر أبو بكر لهم ذلك، فقالوا: اجعل بيننا وبينكم أجلاً، فجعل بينهم أجلَ خمس سنين فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال: «ألا جعلتَهُ ـ أُراه قال ـ دون العشرة»، قال: فظهرت الروم بعد ذلك. فذلك قولُه تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ۝٤﴾ [الروم].

قال سُفيان الثَّوري: وسمعت أنّهم ظهروا يوم بدر.

وقال الحسين بن الحسن بن عطيّة العَوفي: حدثني أبي، عن جدّي، عن ابن عباس: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم] قال: قد مضى ذلك وغَلَبَتهم فارس، ثم غلبتهم الروم بعد ذلك، ولقي نبيُّ الله ﷺ مشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصر الله النبي ﷺ على المشركين، ونُصِر الرُّوم على مُشرِكي العجم، ففرح المؤمنون بنصرِ الله إيّاهم، ونصرِ أهل الكتاب.

قال عطيّة: فسألت أبا سعيدٍ الخُدرِيّ عن ذلك، فقال: التقينا مع رسول الله ﷺ نحن ومشركو العرب، والتقت الروم وفارس، فَنَصَرَنَا الله

على المشركين، ونصر الله أهلَ الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصرنا ونصرهم[1].

وقال اللَّيث: حدثني عُقَيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عُبَيدالله ابن عبدالله بن عُتبة، قال: لمّا نزلت هاتان الآيتان ـ يعني أوّل الرُّوم ـ ناحَب أبو بكر بعض المشركين ـ يعني راهن قبل أن يُحَرَّم القِمار ـ على شيءٍ، إنْ لم تُغلَب فارس في سبع سِنين، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ فعلتَ، فكُلّ ما دون العشر بِضعٌ»، فكان ظهور فارس على الروم في سبع سنين، فقال رسول الله ﷺ: لم فعلتَ، فكان ظهور فارس على الروم في تِسع سنين، ثم أظهر الله الرومَ عليهم زمن الحُدَيبية، ففرح بذلك المسلمون[2].

وقال ابن أبي عَرُوبة، عن قَتَادة ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ۖ﴾ [الروم] قال: غَلَبَهم أهلُ فارس على أدنى الشام، قال: فصدَّق المسلمون ربَّهم، وعرفوا أنّ الروم سيظهرون بعدُ، فاقتمر هم والمشركون على خمس قلائص، وأجَّلُوا بينهم خمسَ سنين، فولي قمارَ المسلمين أبو بكر، وولي قمارَ المشركين أُبَيّ بن خَلَف، وذلك قبل أن يُنهَى عن القمار، فجاء الأجَلُ، ولم تظهر الروم، فسأل المشركون قمارهم، فقال رسول الله ﷺ: «ألم تكونوا أحِقّاء أن تؤجِّلوا أجلاً دون العَشر، فإنّ البِضع ما بين الثلاث إلى العَشر، فزايدُوهم ومَادُّوهم في الأجَل» ففعلوا، فأظهر الله الرومَ عند رأس السبع من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مَرجِعَهُم من الحُدَيبية، وفرح المسلمون بذلك.

---

(١) الحسن بن عطية العوفي وأبوه عطية ضعيفان. وأخرجه الترمذي من طريق عطية عن أبي سعيد (٢٩٣٥) و(٣١٩٢). وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٣٢٢، وأخرجه الترمذي (٣١٩١)، عن عبيدالله، عن ابن عباس، واستغربه من هذا الوجه.

وقال الوليد بن مسلم: حدثنا أُسَيْد الكلابيُّ، أنّه سمع العلاء بن الزُّبَير الكلابي يحدث عن أبيه، قال: رأيت غَلَبَة فارس الرومَ، ثم رأيت غَلَبَة الرومِ فارسَ، ثم رأيت غَلَبَة المسلمين فارسَ والرومَ، وظهورهم على الشامِ والعراق، كلُّ ذلك في خمس عشرَةَ سنة.

obeikandl.com

ثمَّ تُوُفي عَمُّه أبو طالب وزوجتُه خَديجة

يقال في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام]. أنّها نزلت في أبي طالب ونزل فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص].

قال سُفيان الثَّوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمّن سمع ابن عباس يقول في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: نزلت في أبي طالب، كان يَنهَى المشركين أن يُؤْذوا رسولَ الله ﷺ وَيَنْأَى عنه.

ورواه حمزة الزَّيَّات، عن حبيب، فقال: عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس.

وقال مَعمَر، عن الزُّهرِيّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حَضَرَت أبا طالب الوفاةُ دخل عليه النبي ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبدَالله بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة، فقال له النبي ﷺ «يا عمّ قُل لا إله إلاّ الله أُحاجّ لك بها عند الله». فقالا: أيْ أبا طالب، أَتَرغَبُ عن مِلَّة عبد المطلب! قال: فكان آخر كلمةٍ أنْ قال: على مِلّة عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ «لأستغفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة] الآيتين، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]. أخرجه مسلم[1].

وللبخاري مثله من حديث شُعيب بن أبي حمزة[2].

---

(١) مسلم ١/ ٤٠، وانظر المسند الجامع حديث (١١٤٣٢).

(٢) البخاري ٥/ ٦٥-٦٦ و ٦/ ٨٧ و ١٤١ و ٨/ ١٧٣.

وقد حكى عن أبي طالب، واسمه عبد مَناف، ابنُه عليّ، وأبو رافع مولى النبي ﷺ.

ابن عَون، عن عَمرو بن سعيد، أنّ أبا طالب، قال: كنت بذي المجاز مع ابن أخي، فعطِشتُ، فشَكَوتُ إليه، فأهوى بعَقبِه إلى الأرض، فنبع الماء فشربتُ.

وعن بعض التابعين، قال: لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلاّ بمالٍ، إلاّ أبو طالب وعُتبة بن ربيعة.

قلت: ولأبي طالب شِعرٌ جيّد مُدَوَّنٌ في السيرة وغيرها.

وفي «مسند أحمد»[1] من حديث يحيى بن سَلَمَة بن كُهَيل، عن أبيه، عن حَبَّة العُرَنيّ، قال: رأيت عَلِيّاً ضحك على المنبر حتى بدت نواجذُه، ثم ذكر قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ نصلّي ببطن نخلة فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال: ما بالذي تصنعان من بأس، ولكنْ واللهِ لا تَعْلُوني استي أبداً، فضحكتُ تعجُّباً من قول أبي.

وروى معتمر بن سليمان، عن أبيه أنّ قريشاً أظهروا لبني عبدالمطلب العداوةَ والشَّتمَ، فجمع أبو طالب رهطَه، فقاموا بين أستار الكعبة يدعون الله على مَنْ ظلمهم، وقال أبو طالب: إنْ أبَى قومُنا إلاّ البغيَ علينا فعجِّلْ نصرَنا، وحُلْ بينهم، وبين الذي يريدون من قتل ابن أخي، ثم دخل بآلِه الشِّعْبَ.

ابن إسحاق[2]: حدثني العباس بن عبدالله بن مَعْبَد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لمّا أتى النبيُّ ﷺ أبا طالب قال: أيْ عمّ،

---

(١) أحمد ١/٩٩.

(٢) ابن هشام ١/٤١٧-٤١٨.

قلْ لا إله إلاّ الله أستحلُّ لكَ بها الشفاعة. قال: يا ابن أَخي، والله لولا أنْ تكون سُبَّة على أهل بيتك، يرون أنّي قُلتُها جَزَعاً من الموت، لقُلتُها، لا أقولها إلاّ لأسُرَّكَ بها، فلمّا ثقُل أبو طالب رؤيَ يحرّك شفتيه، فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع عنه فقال: يا رسول الله قَدْ واللهِ قالها، فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع».

قلت: هذا لايصحّ، ولو كان سمعه العباسُ يقولها لما سألَ النبيَّ ﷺ وقال: هل نَفعت عمَّكَ بشيءٍ، ولَمَا قال عليٌّ بعد موته: يا رسول الله إنَّ عَمَّكَ الشيخ الضّالَّ قد مات. صحّ أنَّ عمرو بن دِينار روى عن أبي سعيد بن رافع، قال: سألت ابن عمر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] نزلت في أبي طالب؟ قال: نعم.

زيد بن الحُبَاب، قال: حدثنا حمّاد، عن ثابت، عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث، عن العباس، أنّه سأل النبي ﷺ ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «كلّ الخير من ربِّي».

أيّوب، عن ابن سيرين، قال: لما احتضر أبو طالب دعا النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي إذا أنا متُّ فأْتِ أخوالَكَ من بني النّجّار، فإنّهم أمنع الناس لما في بيوتهم.

قال عُروَة بن الزُّبَير: قال رسول الله ﷺ: ما زالت قريش كاعَّةً عنّي حتّى مات عمّي.

كاعّة: جمْع كائع، وهو الجبان، يقال: كَعّ: إذا جَبُن وانقبض.

وقال يزيد بن كَيسان: حدثني أبو حازم، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمّه: «قُلْ لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال: لولا أنْ تعيّرني قريش، يقولون: إنّما حمله عليه الجَزَع لأقررتُ بها عينَكَ. فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾﴾ الآية. أخرجه

مسلم[1].

وقال أبو عَوَانة، عن عبدالملك بن عُمير، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل، عن العباس أنّه قال: يا رسولَ الله هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنّه كان يَحُوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم. هو في ضَحضاحٍ من النار، ولولا أنا لَكَان في الدَّرك الأسفل من النار». أخرجاه[2]. وكذلك رواه السُّفيانان، عن عبدالملك.

وقال اللَّيث، عن ابن الهاد، عن عبدالله بن خَبَّاب، عن أبي سعيد الخُدرِيّ، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ: يقول ـ وذُكِر عنده عمُّه أبو طالب فقال ـ: «لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضَحضَاحٍ من النار يبلغ كعبَيه يغلي منه دماغُه». أخرجاه[3].

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن ابن عباس، أنّ رسول الله ﷺ قال: أهوَنُ أهلِ النّار عذاباً أبو طالب مُنْتَعِل بنَعلَين يغلي منهما دماغُه. مسلم[4].

وقال الثَّورِي وغيره، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب، عن عليّ رضي الله عنه، قال: لمّا مات أبو طالب أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إنَّ عمَّكَ الشيخ الضّالّ قد مات. قال: «اذهب فَوَارِ أباك ولا تُحْدِثن شيئاً حتى تأتيني». فأتيتُه فأمرني فاغتسلتُ، ثم دعا لي بدعواتٍ ما يَسُرُّني أنّ لي بهنّ ما على الأرض من شيء. ورواه الطيالسي في «مسنده»[5] عن شُعبة، عن أبي إسحاق فزاد بعد اذْهَبْ فَوَارِهِ: «فقلتُ: إنّه مات مشرِكاً»

---

(١) مسلم ١/ ٤١.
(٢) البخاري ٥/ ٦٥، ومسلم ١/ ١٣٥.
(٣) البخاري ٥/ ٦٥، ومسلم ١/ ١٣٥.
(٤) يعني: أخرجه مسلم، وهو عنده ١/ ١٣٥.
(٥) (١٢٠) وأخرجه أبو داود (٣٢١٤)، وأحمد ١/ ٩٧ و١٠٣ و ١٣٠ و ١٣١، وغيرهم.

قال: «اذهبْ فَوَارِهِ». وفي حديثه تصريح السّماع من ناجية قال: شهدتُ عليّاً يقول. وهذا حديث حَسَنٌ مُتَّصِل[1].

وقال عبدالله بن إدريس: حدثنا محمد بن إسحاق، عمّن حدثه، عن عُروَة بن الزُّبير، عن عبدالله بن جعفر، قال: لمّا مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيهٌ من قريش، فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته، فأتت بنتُه تمسح عن وجهه التُرابَ وتبكي فجعل يقول: «أي بُنَيّة لا تبكين، فإنَّ اللهَ مانع أباكِ»، ويقول ما بين ذلك: «ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[2]. غريب مُرسَل.

وروي عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ عارض جنازة أبي طالب، فقال: «وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يا عمّ وجُزِيتَ خيراً». تفرّد به إبراهيم بن عبدالرحمن الخوارزمي. وهو مُنكر الحديث يروي عنه عيسى غُنجار، والفضل السِّيناني.

وقال يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق: حدثني العباس بن عبدالله بن مَعبَد، عن بعض أهله، عن ابن عباس، قال: لما أتى رسولُ الله ﷺ أبا طالب في مرضه قال: «أي عمّ، قلْ لا إله إلا الله أستَحِلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة». فقال: يا ابن أخي والله لولا أنْ تكون سُبَّةً عليك وعلى أهل بيتك من بعدي يرون أنّي قلتها جَزَعاً حين نزل بي الموتُ لقُلْتُها، لا أقولها إلاّ لأَسُرَّك بها، فلما ثَقُلَ أبو طالب رُؤيَ يحرّك شفتَيه، فأصغى إليه العباس ليستمع قوله، فرفع العباس عنه، فقال: يا رسول

---

(١) كذا قال لحسن ظنه بناجية بن كعب الأسدي، فقد وثقه ابن حجر، وليس الأمر كذلك فهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد حسب، كما حققناه في «تحرير أحكام التقريب». ولذلك ضعّفَ البيهقي هذا الحديث في «السنن» وتبعه الإمام النووي في المجموع فضعفه أيضاً (٥/ ١٤٤).

(٢) ابن هشام ١/ ٤١٦.

الله، قد والله قال الكلمةَ التي سألتَهُ، فقال النبي ﷺ: «لم أسمع»[1].

إسناده ضعيف لأنّ فيه مجهولاً، وأيضاً، فكان العباس ذلك الوقت على جاهليته، ولهذا إنْ صَحَّ الحديثُ لم يقبلِ النبيُّ ﷺ روايته وقال له: لم أسمع، وقد تقدّم أنّه بعد إسلامه قال: يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنّه كان يحُوطُكَ ويغضبُ لك، فلو كان العباس عنده عِلمٌ من إسلام أخيه أبي طالب لَمَا قال هذا، ولَمَا سكت عند قولِ النبي ﷺ «هو في ضَحضَاحٍ من النار»، ولَقَال: إنّي سمعته يقول: لا إله إلا الله، ولكن الرافضة قوم بُهُتٌ.

وقال ابن إسحاق[2]: ثم إنّ خديجة بنت خُوَيلد رضي الله عنها وأبا طالب ماتا في عامٍ واحد فتتابعَتْ على رسولِ الله ﷺ المصائبُ بهلاكهما.

وكانت خديجة وزيرةَ صِدْقٍ على الإسلام، كان يسكن إليها.

وذكر الواقديّ أنّهم خرجوا من الشِّعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وأنّهما تُوُفِّيا في ذلك العام، وتُوُفِّيَت خديجة قبل أبي طالب بخمسةٍ وثلاثين يوماً.

وذكر أبو عبدالله الحاكم أنّ موتها كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيّام، وكذا قال غيره.

وهي خديجة بنت خُوَيلِد بن أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ الأسدية.

قال الزُّبَير بن بكّار: كانت تُدعَى في الجاهلية الطاهرة، وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ العامرية. وكانت خديجة تحت أبي هالة بن زُرَارة التميميّ، واختُلِف في اسم أبي هالة، ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ

---

(١) ابن هشام ١/ ٤١٨.
(٢) ابن هشام ١/ ٤١٦.

ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ثم النبي ﷺ.

وقال ابن إسحاق: بل تزوّجها أبو هالة بعد عتيق. وكانت وزيرةَ صِدْقٍ على الإسلام.

وعن عائشة، قالت: تُوُفيت خديجة قبل أن تُفرَض الصلاة، وقيل: كان موتها في رمضان، ودُفِنت بالحَجُون، وقيل: إنّها عاشت خمساً وستّين سنة.

وقال الزُّبَير: تزوّجها النبيُّ ﷺ ولها أربعون سنة، وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة.

قال مروان بن معاوية الفزاريّ، عن وائل بن داود، عن عبدالله البهيّ، قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يَكَد يسأم من ثناءٍ عليها، واستغفارٍ لها، فذكرها يوماً، فاحتملتني الغَيْرةُ، فقلت: لقد عوَّضَكَ اللهُ من كبيرة السِّنّ، فرأيته غضب غضباً أسقطت في خَلَدِي، وقلت في نفسي: اللَّهُمَّ إنّك إنْ أذهبت غضبَ رسولِك عنّي لم أعُدْ إلى ذِكرها بسوء، فلمّا رأى النبي ﷺ ما لقِيت قال: «كيف قلتِ، والله لقد آمَنَت بي إذ كفرَ بيَ الناسُ، وآوتني إذْ رفضني الناس، وصدّقَتْني إذ كذّبني الناس، ورُزِقت منها الولد، وحُرِمتُمُوه منّي»، قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً.

وقال هشام بن عُروَة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: ما غرتُ على امرأةٍ ما غرت على خديجة، ممّا كنتُ أسمعُ من ذِكْرِ رسولِ الله ﷺ لها، وما تزوّجني إلاّ بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربُّه أنْ يبشِّرها ببيتٍ في الجنّة من قصب لا صَخَب فيه ولا نَصَب. مُتفقٌ عليه[1].

وقال الزُّهرِيّ: تُوُفِّيَت خديجة قبل أن تُفرَض الصّلاة.

---

(١) البخاري ٥/ ٤٨ و ٧/ ٤٧ و ٨/ ١٠ و ٩/ ١٧٣، ومسلم ٧/ ١٣٣ و ١٣٤.

وقال ابن فُضَيْل، عن عمارة، عن أبي زُرعَة، سمع أبا هريرة يقول: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: هذه خديجة، أتتك معها إناءٌ فيه إدام طعام أو شرابٍ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السّلامَ من رَبِّها ومنّي، وبَشِّرها ببيتٍ في الجنّة من قَصَب، لا صَخَب فيه ولا نَصَبَ. مُتفقٌ عليه[1].

وقال عبدالله بن جعفر: سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران. أخرجه مسلم[2].

---

(١) البخاري ٥/ ٤٨ و ٩/ ١٧٦، ومسلم ٧/ ١٣٣.
والقصب: اللؤلؤ المُجَوَّف الواسع.

(٢) مسلم ٧/ ١٣٢.

obeikandl.com